عالم القطب الواحد اختفى .. فاستعدوا

الأهرام
٨ / ٣٠

د . رفعت السعيد

نخطئ كثيرا اذا نظرنا الي تفاصيل الحدث الجورجي ومهما تكاثرت هذه التفاصيل ، علي أنها مجرد أحداث عابرة ، تشابك مسلح حدث ثم توقف ، فمهما كانت نتائج هذا الحدث سواء باقتلاع الوجود الجورجي من أراضي أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا أو حتي ببسط السيطرة الروسية علي هاتين المنطقتين مجردة جورجيا من أهم أوراقها في صراعها المحتدم منذ أمد طويل حول طموحات التوسع الإقليمي أو الانتماء المباشر الي الحلم الأمريكي ، كما قال رئيس جورجيا المستمتع . في حالة نادرة . بالجنسية الأمريكية إضافة الي الجنسية الجورجية ، أو تجسيد ذلك عمليا بالانضمام المباشر للحلف الأطلسي ، الأمر الذي يشكل مناوءة للنفوذ الروسي المتمرس في هذه المناطق .

أقول أيا كانت قيمة التفاصيل وقيمة النتائج الواقعية علي الأرض ، فإن الأمر يتطلب منا نظرا يتجاوز هذه التفاصيل وتلك النتائج الي ما يمكن تسميته بالنظر الفلسفي لهذا الحدث ، النظر الفلسفي الذي يعني تجميع المعطيات وترتيبها وفحص نتائجها وتداعيات هذه النتائج ثم استخلاص قانون جديد للعلاقات المتطاحنة بين كبراء هذا الكون ، قانون عام جديد يأتي بمعايير جديدة تتوافق مع ما حدث من تغيير لتوازنات القوي في العالم .

فالعالم الذي شهد انهيار الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي وما صاحبه من تداعيات تعلقت بالايديولوجية وبالقوي المتناثرة في العالم التي تنتمي إليها ، هذا الانهيار أوجد حالة انتهاء الحرب الباردة التي كانت موجودة وملتهبة بين العملاقين السوفيتي والأمريكي ، بل وشهد حالة تحسب فكري شمل القيادات الجديدة لروسيا التي تولدت عبر هذا الحدث من رحم الوجود القديم لكنها أتت بعد أن تخلصت به من كل ما كانت واقتربت من خصوم الزمان القديم اقترابا فكريا وعمليا ، أي بالدقة تماثلت مع خصم الأمس .

لكن هذا التماثل لم يشفع لها ، فقد فعلته وهي واهنة وضعيفة سواء في مجالات الاقتصاد ومن ثم في مجالات التسلح والتقدم العلمي وغيرها ، فصار القطب الواحد ، علامة علي عصر سيطرت فيه أمريكا علي مقدرات العالم وعلي منظماته الدولية ، واتسعت الأحضان الأمريكية الشرسة وغير الدافئة لتشمل كثيرين في أوروبا وحتي في دول المعسكر الذي كان يسمى اشتراكيا بما فيها روسيا . وباختصار تسيدت أمريكا العالم ، وكان ما كان وتتحقق نتائجه المريرة أمام أعيننا في أكثر من مكان ، ولأن السيد الأمريكي قد أبرز انيابا شرسة وهو يقول من ليس معنا في معركتنا ضد الإرهاب فهو ضدنا ، وبرغم أنه لم يقدم تعريفا صائبا للفعل الإرهابي ، فإن الكثيرين ، بل والكثيرين جدا انصاعوا لهذه الإرادة التي تبدت طاغية وحاكمة ومتحكمة ، وحتي جرائم مشينة مثل غزو العراق ومثل جوانتانامو وأبوغريب وغيرها مرت دون محاسبة أو حتي عتاب تحت وطأة شراسة القطب الواحد .

وفي غضون ذلك ، كانت متغيرات جديدة تتراكم في الطرف الآخر ، هذا الكائن الضخم والذي خرج من عملية انهيار منظومته الحاكمة ضعيفا مفككا وفاقدا اليقين ، هذه المتغيرات بدأت بتوجيه ضربة حاسمة وقاصمة لاحتكار البترول والغاز وإخضاعه لسطوة الدولة في مؤسسة غاز بروم التي أصبحت واحدة من أقوي كيانات البترول والغاز في العالم ، واستقام العود الروسي رويدا رويدا ثم انتفض مع التهاب أسعار البترول واستطاع أن يعاود بناء قوته العسكرية واقتصاده وأن يلعب دورا دوليا متناميا في ظل احتياج عديد من الدول الأوروبية لعلاقة طيبة مع المورد الأساسي للطاقة ، وتحولت الطاقة في يد الروس الي سلاح سياسي واستراتيجي فاعل سواء في تعاملاتها مع دول الجوار أو مع أوروبا واتخذت من هذا السلاح سبيلا لجس نبض الخصم الرئيسي أي أمريكا في مناكفات اتصلت لزمن حول مسائل مثل إيران وكوسوفا وغيرها . ثم كان التغيير الحاسم اذ استطاع الروس أن ينتهزوا فرصة تصرف غبي من خصمهم الصغير المستقوي بخصمهم الكبير فأظهروا أنيابا كانت قد اختفت منذ أمد ليس بالقصير ، اختفت بحيث نسيها البعض أو حتي تصور أنها لم تعد ولن تعود ، وكان الهجوم العسكري الكاسح علي جورجيا . ولن نتحدث عن التفاصيل وعما كان ، وتداعياته العسكرية أو حتي الإقليمية ، فقد حذرنا من ذلك في بداية هذه الكتابة لكننا سنلجأ الي رؤية عامة ينفلت منها ما يشبه القانون عام الجديد ، فنحن نعتقد أننا نحن والعالم معا أمام حالة من التغيير الكيفي ربما أتت بأسرع مما يتوقعه البعض ، ولكنها أتت ، ربما بفعل نضج التغيرات الكمية وربما جاءت بفعل انتهاز فرصة الخطأ الجورجي الذي أتي بأسلوب ساذج وبتوقيت ساذج حيث أمريكا مقيدة الخطي انتظارا لانتخابات الرئاسة ، هذه الحالة من التغيير حاسمة وفاصلة في تاريخ العالم بحيث سيؤرخ بها في الحاضر وفي المستقبل .. ما قبل جورجيا وما بعد جورجيا . فالتحرك الروسي في جورجيا ما جاء لمجرد أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا ، وانما يمكن فهم أبعاده من فهم معني ومخزى تصريح ميدفيديف إذ قال لقد نالت جورجيا العقاب الكافي ولهذا نوقف اطلاق النار . نحن الآن أمام نقطة فاصلة ، عالم القطب الواحد انتهي وها هو العالم يعود الي عالم القطبين ، وسوف ينعكس ذلك علي مجمل الحراك العالمي في المستقبل القريب وربما البعيد ، فقدت أمريكا عرش التحكم الوحيد في المسار العالمي وظهر منافس جديد وهنا سوف يعيد الجميع سواء في أوروبا أو دول العالم الثالث أو غيرها حساباتهم ، وعلينا نحن أن نسرع كي نعيد ترتيب حساباتنا لتتوافق مع هذا التطور الجديد . لكننا سنضع في اعتبارنا بالطبع أن ما كان في زمان الاتحاد السوفيتي لن يستعاد ، فلا النظام هو النظام ولا الفكر هو الفكر ، ولا الرجال هم الرجال ، لكن مساحة التغيير تستوجب تغيير الأساليب والممارسات في العلاقات الدولية وخاصة في العلاقة بين القطبين الأساسيين ، ومحاولة تحقيق أي قدر من الاستفادة منها . وتبقي بعد ذلك مسألة أعتقد أنها مهمة ، فجورجيا استعدت لتحركها البائس مستعينة بدعم إسرائيلي واضح ، لدرجة أن مسئولا عسكريا جورجيا أكد أن جنوده لن ينسحبوا أمام الروس .

فهل ستكون هناك ثمة ثغرة في العلاقة التي كانت متينة بين روسيا وإسرائيل؟ أعتقد ذلك ، ومن ثم فلنفكر في كيفية التعامل معها .

وصية عرفات في شأن لبنان الى محمود عباس وبقية الرفاق

اللواء
٨ / ٣٠

فؤاد مطر

نسجل للرئيس الفلسطيني محمود عباس أول رئيس عربي يزور لبنان، وقاره وحسن تصرفه بدءاً بإنحناءته أمام العلم اللبناني خلال عرضه حرس الشرف، وتكراره بعد لقائه الرئيس ميشال سليمان ثم بعد لقائه الرئيس نبيه بري والرئيس فؤاد السنيورة، الموقف المبدئي الذي يرتاح له لبنان ويجب أن يرتاح له الفلسطينيون ممن يخافون الله ويحترمون أصول الضيافة وهو التأكيد على ان الفلسطينيين في لبنان هم تحت القانون لا فوقه وان اللاجئين الفلسطينيين يجب أن يتمتعوا بحق العودة إلى وطنهم، ونحن ضد توطينهم في لبنان كما نسجل له تشديده على وجوب نزع السلاح خارج المخيمات وإزالة المراكز المسلحة طبقاً لمقررات طاولة الحوار الوطني كمدخل لمعالجة المشاكل الاجتماعية للفلسطينيين أما بالنسبة إلى الموضوع المقلق للدولة اللبنانية فنسجل للرئيس عباس توضيحه بأن الموقف الرسمي الفلسطيني هو مع رأي الحكومة اللبنانية وموقفها بالكامل ومع الاجماع اللبناني حول موضوع السلاح الفلسطيني خارج المخيمات.

ما قاله الرئيس محمود عباس أمام الرؤساء ميشال سليمان ونبيه بري وفؤاد السنيورة أعاد التأكيد عليه لدى استقباله السفراء العرب في مقر إقامته وخيراً فعل ذلك لكي يسمع القاصي ما سمعه الداني.

هنا نتساءل: ما الذي يمنع الفصائل الفلسطينية الخارجة عن الطوع والتي تتسبب للوطن الذي يستضيف الألوف من رعايا هذه الفصائل أن تكون على المنحى السياسي الذي لخصه الرئيس محمود عباس خير تلخيص، ولماذا يجب أن يوظف قادة هذه الفصائل أنفسهم في خدمة أغراض وأنظمة يمكن أن تتخلى عنهم في أي لحظة وترفض حتى إيواءهم وليس استضافتهم كما الحال في لبنان.

لقد مرت مرحلة كان فيها الوجود الفلسطيني في لبنان ضيفاً معززاً مكرماً ثم اهتزت النظرة إليه بعدما تحولت القيادة الفلسطينية في زمن الرئيس ياسر عرفات إلى طرف استهوته اللعبة السياسية المحلية، وكانت الفواجع والصدمات التي ضعضعت الفلسطينيين.

ومع ان عرفات وضع بنفسه حجر الأساس لتصحيح تلك التداعيات والحساسيات وبذل في سبيل ذلك جهداً مشكوراً إستمر متواصلاً على الوتيرة التصحيحية نفسها حتى قبل وفاته، إلاّ أن الأمر بقي يحتاج إلى جهد نوعي وأشهد وأنا أقول ذلك انني من بين كثيرين تسنى لهم الاستماع الى الرئيس عرفات رحمة الله عليه في لقاء معه سبق التوعك الصحي بسنتين، لاحظنا حرص الرجل على تبرئة الذمة من طبيعة التعامل الفاكهانية (نسبة إلى مقر قيادة عرفات في حي الفاكهاني) وقوله إنه يتمنى أن تتاح الظروف أمامه لزيارة لبنان والقيام بجولة تشمل العاصمة والجبل والجنوب والبقاع والشمال يزيل بالكلام خلالها كل ما هو عالق في النفوس من عتب على زمن التدخلات الفلسطينية.

ونصل إلى القول إن هذا الموقف الذي صدر عن الرئيس محمود عباس في صيغة تصريحات خلال زيارته للبنان أمس وقبله قد يعتبره البعض موحى به من الإدارة الأميركية وذلك بسبب طبيعة العلاقة بين هذه الإدارة والسلطة الوطنية الفلسطينية وهذا في جانب منه وارد لكن الدافع الأساسي إلى الموقف الفلسطيني الموضوعي هو أن الرئيس أبو مازن ورفاقه الممسكين بمقاليد السلطة ينفذون في ذلك، ومعهم بصيغة التأييد كل فلسطيني مستقل، وصية الرئيس عرفات بأن يتولى الذين يقودون من بعده تصحيح العلاقة مع كل شعب عربي يعتبر أن الفلسطينيين أساءوا إليه أو أقحموه في ما لا قدرة له عليه، وفي المقدمة لبنان ولقد كان اختيار عباس زكي بالذات لمنصب ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، من أجل التمهيد المتأني لتنفيذ الوصية خطوة خطوة وها هي الخطوة الأهم تحدث متمثلة بزيارة الرئيس محمود عباس، مع ان الرئيس الراحل عرفات كان يتمنى لو أتيحت له المشاركة في القمة العربية الدورية الثانية في بيروت لأن يصحح خير تصحيح تجوالاً وكلاماً وهكذا فإن التأخير مبرر، ثم حدث الارتباك السائد في الوضع السياسي اللبناني.

وبعدما بدأت الانفراجات تتوالى جاءنا الرئيس أبو مازن لكي يقول ما قاله ويؤكد ما أكده ويوضح ما أوضحه وبعد ذلك فإن المسؤولية لا تقع على الدولة اللبنانية وإنما على كل فلسطيني سيواصل اعتبار نفسه فوق القانون اللبناني شاهراً سلاحه حتى خارج المخيمات غير معتبر نفسه انه ضيف وللبلد المضيف حقوق عليه لا جدال في أمر احترامها وبالرضى والاقتناع وروح الأخوة.

أزمة المفاوضين أم مفاوضات مأزومة؟

الرأي
٨ / ٣٠

محمد خروب

ثمة غموض كثيف يسربل القنوات التفاوضية التي تجري بين اسرائيل والسلطة الفلسطينية بهدف التوصل الى اتفاق رف (أي اتفاق لن ينفذ الا بعد ان يشعر الطرفان ان الوقت قد نضج لتنفيذه قبل مغادرة الرئيس الاميركي بوش البيت الابيض في العشرين من الشهر الاول من عام الجديد. الحال ذاتها تنطبق على الجدل وانسجالات الدائرة الآن في العراق (وواشنطن) حول الاتفاق الامني (لم يعد الحديث يدور عن معاهدة) الذي سيوفر الاساس القانوني لوجود القوات الاميركية في بلاد الرافدين بعد انتهاء تفويض الامم المتحدة لقوات الاحتلال في الحادي والثلاثين من كانون الاول المقبل، والذي استخدمته ادارة بوش سيفا مسلطاً على حكومة بغداد، كون انتهاء التفويض سيعني رفع العراق عن البند السابع، الذي لازم القرارات المتلاحقة في مجلس الامن بحقه طوال عقد ونيف من السنين.

اللافت في كل ما يجري على هاتين الساحتين (الفلسطينية والعراقية) هو ان الطرف الاميركي هو الذي يصر على القول بأن .....المفاوضات..... قد احرزت تقدماً وانها لم تصل الى نفق مظلم، بل ان مصادر فلسطينية كشفت أن كونداليزا رايس وعلى هامش زيارتها رقم ٢٠ منذ تسلمها منصبها الحالي في شباط ٢٠٠٤، .....ألمحت..... بقرب التوصل الى .....صيغة..... يقبل بها الطرفان من خلال عقد لقاءات يومية وسرية مكثفة بينهما ولم تنس ان تؤكد انها .....شخصياً..... ستتابع كل مجريات اللقاءات التي ستعقد بين الجانبين الفلسطيني والاسرائيلي..

في العراق الأمور اخذت بُعداً مشابهاً رغم الاختلاف في التفاصيل وفي المفردات رغم .....تمتع..... حكومة نوري المالكي بمرجعية دينية تتمثل في اية الله علي السيستاني الذي .....حذر..... المالكي من التوقيع على اتفاق امني مع الولايات المتحدة يلحق .....ضرراً شديداً..... بالعراق.واذ كشف الرئيس جلال طالباني ان الولايات المتحدة طلبت .....السماح..... لها الاحتفاظ بقوات في العراق حتى عام ٢٠١٥، لكن العراقيين اقترحوا عام ٢٠١٠ ثم اتفقا لاحقاً على عام ٢٠١١، في محاولة منه للايحاء بأن عام المذكور (٢٠١١) سيشهد نهاية الاحتلال، فإن كثيرين يجهلون ان المقصود بالانسحاب هي .....القوات المقاتلة.....، كما ورد في معظم النصوص التي تم تسريبها، ما يعني ان الاحتلال باق بشكل ربما يكون اكثر خطورة على العراق الوطن والشعب والاقتصاد والمجتمع المدني، لأن الاميركيين سيكونون في كل مفاصل الدولة على شكل خبراء ومستشارين وشركات امنية (بلاك ووتر نموذجاً) وشركات نفط وسماسرة سلاح وبورصة ونفط وآثار.

وبرغم ان حديثنا لا يدور حول هذه المسألة بالذات حيث التفاصيل ستكون معروفة وفي متناول اليد، عندما يتم التوقيع الرسمي عليها (والذي يبدو هو الآخر بات غير مؤكد ان يتم قبل انتهاء ولاية بوش، برغم الضغوط المكثفة التي تمارسها ادارته على العراقيين)، فان القرار الذي اصدره رئيس الحكومة العراقية .....بتجميد..... الوفد العراقي المفاوض مع الاميركيين حول الاتفاقية الامنية برئاسة وكيل وزارة الخارجية محمد الحاج حمود، .....لضعف ادائه وعدم دقة نقل المعلومات..... (كما ذكر مراسل الزميلة العرب اليوم في عددها الصادر يوم اول من امس الخميس ٨/٢٨).. يشي بأن ثمة صراعاً محموماً يجري في الخفاء بين الكتل السياسية والحزبية العراقية، وان المواقف النهائية لم تتبلور بعد من مسألة الاتفاق الأمني .....العتيد..... ومن مستقبل العلاقات بين التحالفين الشيعي والكردي الذي تعرض لامتحان خطير مؤخراً كاد ان يودى به (لولا استدراك الأمور نسبيا) والذي تمثل في ملابسات جلسة التصويت في مجلس النواب العراقي على قانون انتخاب مجالس المحافظات وما رافقه من انسحابات او تصويت لصالح القانون خلافاً لرغبة الحزب الذي يتبعه هذا النائب او ذاك والذي رأى فيه التحالف الكردي .....طعنة في الظهر..... من قبل التحالف الشيعي. ان يسحب نوري المالكي ملف المفاوضات من وزارة الخارجية (التي يقال انها تحت الهيمنة الكردية) ليتم تسليمه الى وفد جديد برئاسة موفق الربيعي مستشار الأمن القومي .....المزمن..... وقبل اسابيع معدودات من عمر ادارة بوش قد يعني أن المالكي وحلفاءه وخصوصاً عبدالعزيز الحكيم يريدون شراء الوقت وترحيل الملف بكامله الى الادارة الجديدة التي ترجح الاستطلاعات أنها قد تكون .....ديمقراطية..... وربما لن تكون معنية بالنصوص والجداول الزمنية التي تتمسك بها ادارة بوش.. او ان المالكي يريد فك تحالفه مع الاكراد واعادة خلط الاوراق الحزبية والبرلمانية على نحو يتيح قيام معادلة جديدة من التحالفات والاصطفافات قبل اعلان .....المفاجأة..... مفاجأة التوصل الى الاتفاقية الامنية طويلة الأمد التي .....تنظم..... الوجود العسكري الاميركي في العراق.

قد يكون هذا وقد يكون ذاك، لكن السؤال الابرز هنا، هو هل ستسلم ادارة بوش بهذا .....التدبير..... العراقي وهل وصلت فعلاً الى هذه الدرجة من الضعف وانعدام الحيلة كي ترفع يدها مستسلمة؟ ثم.. ماذا عن تفويض الامم المتحدة ومستقبل البند السابع الذي وظفه الاميركيون لابتزاز العراقيين؟.

اللافت في مسألة سحب المالكي ملف المفاوضات من وزارة الخارجية هو ان هذا الاجراء يتزامن مع دعوات فلسطينية متصاعدة باخراج المرجعية التفاوضية الفلسطينية من دائرتها الضيقة الثلاثية (محمود عباس، احمد قريع وصائب عريقات) واعادتها القرار الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لتشرف على تنفيذه من خلال لجنة وطنية عليا معنية بتوجيه الوفد الفلسطيني المفاوض ورسم الخطوط العريضة لمواقفه ورسم الخطوط .....الحمرا..... التي لا يجوز تجاوزها وترفع تقاريرها الى اللجنة التنفيذية مجتمعة، على ما كتب معتصم حمادة عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في جريدة الاخبار اللبنانية يوم الاربعاء الماضي (٢٧ آب).

.. فهل هي الصدفة أم عمق الازمات، واتساع التيه الذي بات فيه الطرفان الفلسطيني والعراقي في مواجهة احتلالين؟.

زيارة الأسد إلى روسيا: إنعاش التحالف التقليدي

السفير
٨ / ٣٠

علي بدوان

جاءت الزيارة الأخيرة للرئيس السوري بشار الأسد إلى روسيا، لتحمل معها اهتماماً والتفاتاً اعلامياً وسياسياً عالياً نظراً لترابطها وترافقها مع جملة من التطورات المهمة التي وقعت مؤخراً مع الصدع الذي طرأ في مسار العلاقات الروسية مع الغرب عموماً ومع الولايات المتحدة خصوصاً بعد الحسم العسكري في جورجيا، وتوقيع اتفاق نشر الدرع الصاروخي الأميركي فوق الأراضي البولونية، ونظراً لجدول أعمالها الخاص. وللتدقيق في أهمية زيارة الرئيس الأسد لروسيا ومباحثاته هناك، يمكن أن نفسر القراءة الاسرائيلية لزيارة الرئيس الأسد، والذعر الإسرائيلي الذي عبر عنه عدد من رجالات السياسة والأمن في الدولة العبرية الصهيونية، كذلك التسريبات المبالغ بها والتي تحدثت عن أجواء جديدة من الحرب الباردة الأميركية/ الروسية ستعود وتهيمن على الشرق الأوسط، وستكون سوريا أداتها الرئيسية. فالرئيس بشير الأسد في زيارته الثالثة راكم الجديد في مسار العلاقات الروسية السورية، وهي علاقات تقليدية وتاريخية قائمة على تحالف وطيد ميزها منذ استقلال سوريا وبالأحرى من منتصف خمسينيات القرن الماضي، حيث تعمقت بمعاهدة الصداقة والتعاون عام ١٩٧٩ التي وقعها كل من الرئيسين حافظ الأسد وليونيد بريجنيف. فقد زار الرئيس بشار الأسد روسيا مرتين منذ توليه الرئاسة في سوريا، المرة الأولى في (٢٥ كانون الثاني/ يناير عام ٢٠٠٥) في وقت كان فيه مصير النظام السوري موضع تساؤل لدى البعض في المنطقة والعالم، بعدما اشتدت الضغوط الغربية على دمشق وهبوب رياح ما بعد الغزو الأميركي على العراق باتجاه سوريا، وكان طابع هذه الزيارة في مجمله اقتصاديا، حيث أعلنت موسكو إثر ذلك عن إلغاء (٩٧٣) من الديون السورية (نحو ١٠ مليارات دولار). وجرت زيارة الرئيس بشار الأسد الثانية إلى موسكو في (١٩ كانون الأول/ ديسمبر عام ٢٠٠٦) وكان طابع هذه الزيارة عسكرياً بعدما تحررت دمشق من أعباء الديون العسكرية الموروثة من زمن وعهد الاتحاد السوفياتي السابق للبحث في شراء أسلحة روسية جديدة لمواجهة الإخلال الإسرائيلي المتواصل في المنطقة على ضوء صفقات الأسلحة والهبات العسكرية الأميركية التي لم تكن لتنقطع عن الدولة العبرية الصهيونية. والآن، لم تأت الخطوة السورية الأخيرة التي أطلقتها دمشق عبر التصريحات الساخنة والعميقة التي سبقت زيارة الرئيس بشار الأسد لروسيا ولقاءه مع الرئيس ميدفيديف في منتجع سوتشي الشهير على البحر الأسود من فراغ، ولم تكن لتمثل انعطافة حادة أو طافرة من قبل دمشق التي طالما أقامت علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفياتي ووريثة التالي جمهورية روسيا الاتحادية، وهي علاقات ساهمت في مراحل عديدة سابقة في تحقيق قدر من التوازن مع الحضور الغربي الواسع في الشرق الأوسط. فسوريا، التي استعادت عدداً كبيراً من أوراق اللعب في المنطقة بعد التحولات التي طرأت في الأزمة اللبنانية وحالة الانفراج التي تلت اتفاق الدوحة اللبناني . اللبناني، وفي ظل الجمود، بل والانكسار على المسار التفاوضي الفلسطيني الإسرائيلي، وزيارة الرئيس بشار الأسد إلى باريس، بدأت الآن بتجميع أوراق إضافية تعزز من دورها الإقليمي الذي استعادته بعد اتفاق الدوحة، والذي توضح في زيارة الأسد إلى فرنسا، وتكرس في الحركة الدبلوماسية الناشطة على خط إيران . سوريا . تركيا، وفي الدور السوري المتنامي في المعادلة الفلسطينية الداخلية لصالح تحقيق التوافق الوطني الفلسطيني الداخلي وإنهاء الانقسام في الساحة الفلسطينية. وفي هذا السياق، وغني عن القول بأن الإخفاقات التي سجلتها وتسجلها سياسة الإدارة الأميركية في المنطقة وفشل سياسة عزل سوريا وإيران وقوى المقاومة الفلسطينية وإدامة الانقسام والتشرذم في لبنان، كلها عوامل صبت وتصب في مجرى إسناد الموقف السوري وتغذيته بالمزيد من أوراق القوة، فيما صبت أحداث جورجيا والتغلغل الإسرائيلي في الجمهوريات السوفياتية السابقة والعبث الأميركي بالأمن القومي الروسي، كما وإقرار إقامة الدرع الصاروخية الأميركية بعد الاتفاق على نشرها مع بولونيا في تدعيم موقف روسيا وزيادة تماسكه وانحيازه لسوريا في الشرق الأوسط، وفي إصرار الأخيرة على العودة إلى المياه الدافئة في منطقة المتوسط والشرق الأوسط بشكل عام بعد تغييب طال منذ تفكك الاتحاد السوفياتي وحلف فرصوفيا. وعلى كل حال، فان روسيا والرئيس ميدفيديف تلقف بسرعة خطوة الرئيس بشار الأسد، مؤكداً رغبة روسيا إعادة إحياء وتطوير تحالفاتها التاريخية التقليدية في المنطقة، وبيع دمشق أحدث أسلحتها، في خطوة تعبر من خلالها عن عزمها على العودة إلى الشرق الأوسط، حيث اعتقدت واشنطن بعد انهيار المنظومة السوفياتية وحلف وارسو بأنها ستبقى الناظم الوحيد لجدلية القوة في الشرق الأوسط.

وبناء عليه، فقد تصدرت مباحثات الرئيس بشار الأسد في سوتشي صفقة الأسلحة، ومنها صواريخ الكساندر الباليستية الروسية، والتي تتمتع بأنظمة استهداف متطورة، حيث نقلت وكالة إنترفاكس عن مصدر روسي رفيع المستوى قوله إن الحديث يدور إضافة إلى صواريخ الكساندر، النظام المضاد للصواريخ ؟بانتسير أس ٢١؟ ونظام صواريخ أرض.

جو متوسطة المدى من نوع ؟بوك أم ٢١؟، وطائرات مقاتلة ومعدات عسكرية ثقيلة أخرى. وبالمحصلة المنطقية، إن سوريا ومعها قوى المقاومة في لبنان وفلسطين والعراق وحتى إيران تراهن رهاناً يبدو أن نجاحاته متقدمة على إعادة انتعاش وحضور الدور الروسي ومعه الصيني في سياق كسر الأحادية القطبية التي دوخت وذلت العالم تحت إرادة الولايات المتحدة، ومثل هذا الرهان يفترض سلفاً أن روسيا تمتلك بالفعل مشروعا جديداً يهدف إلى تحدي الغرب ومنافسته على مناطق الانتشار والنفوذ العالميين، وهو أمر متوقع مع الحسم الروسي في جورجيا، فقد أدركت دمشق جيداً التحول الجديد في روسيا والعالم بعد حرب جورجيا، من ناحية إعادة موسكو الاعتبار لنفسها كقوة عالمية يسعى كل من يعاني الهيمنة الأميركية في العالم إلى التحلق حولها، ومن هنا، جاء كلام الرئيس بشار الأسد عن ضرورة انخراط روسيا في المفاوضات غير المباشرة مع إسرائيل، بعدما أعرب عن دعمه الكامل لموسكو في صراعها مع الغرب في جورجيا، مع أن النظام الروسي مازال وسيبقى على الأرجح مطالباً بالشراكة مع الغرب، ومن موقع الند والشريك المتكافىء.